المذهب المالكي في الصحراء والسودان الغربي

The Maliki school of thought in the Sahara and Western Sudan

إعداد: **د. المصطفى يكبر**؛ أستاذ متعاون بجامعة نواكشوط، موريتانيا

Prepared by: **Dr. AlMustafa Yakbar**; Associate Professor at the University of Nouakchott, Mauritania

الملخص:

تطرح الوحدة المذهبية في شمال وغرب إفريقيا العديد من التساؤلات عن الظروف التاريخية التي انتشر فيها المذهب المالكي في المنطقة، والعوامل السياسية والاجتماعية التي ساهمت في ذلك.

حاول الباحث من خلال هذا البحث أن يميط اللثام تاريخ انتشار المذهب المالكي خاصة في منطقة الصحراء والسودان الغربي لأن قيام الدولة المرابطية في الصحراء ومن بعدها الإمبراطورية المالية في السودان الغربي كان من العوامل الحاسمة في انتشار وتمدد المذهب المالكي بالإضافة طبعا إلى طبيعة المذهب المالكي التي تميل إلى الوضوح وعدم التعقيد. وقد اعتمد في هذا البحث على المنهج التحليلي مع التركيز على مقارنة النصوص المصدرية في هذا المجال.

ومن أهم النتائج التي يمكن الخروج بها من هذا البحث هي أن المذهب المالكي انتشر في المنطقة بفعل عوامل سياسية ودينية واجتماعية فالمنطقة موضوع الدراسة انتشر في الإسلام بفعل الدعاة والتجار خلال المرحلة الأولى من انتشاره ورغم أن منطقة المغرب الإسلامي شهدت قيام كيانات سياسية غير سنية إلا أن قيام الدولة المرابطية في الصحراء والجهود التي قامت بها النخبة المرابطية في البداية كانت سببا مباشرا في بقاء المنطقة على المذهب المالكي خلال الفترات اللاحقة للمرابطين.

الكلمات المفتاحية: المذهب المالكي – السودان الغربي – المرابطون – صنهاجة

Abstract :

The sectarian unity in North and West Africa raises many questions about the historical circumstances in which the Maliki School spread in the region and the political and social factors that contributed to this Through this research, we tried to talk about the history of the spread of the Maliki School, especially in the Sahara region and Western Sudan, because the establishment of the Almoravids and then the Malian empire was one of the reasons for the spread of the Maliki School In this research, we have relied on the analytical approach.

One of the most important results we have come up with is that the Maliki School was spread by political, religious and social factors.

The almoravids played a crucial role in the spread of the Maliki School and its continuation in the region.

Keywords: The Maliki School – Desert - Western Sudan – Almoravids - Snahja

المقدمة:

ما أن انتشر الإسلام في المغرب بعد الجهود المضنية التي قام بها الفاتحون حتى أصبح مسرحا لتنافس مجموعة من المذاهب الدينية والفرق الإسلامية.

ولقد مثل المغرب المكان الملائم للقيام بالدعوة لهذه المذاهب لبعده عن مركز الخلافة الإسلامية، وقد أثمرت جهود هؤلاء الدعاة فقامت في المغرب مجموعة من الكيانات السياسية منذ بداية القرن الثاني للهجرة الثامن الميلادي، فتمكن الخوارج الصفرية من إقامة دولتهم في سجلماسة[1]، واستطاع الخوارج الإباضية تأسيس دولتهم بتيهرت[2]، كما نجح الأدارسة[3] في تكوين دولتهم التي اتخذوا فاس عاصمة لها، وانفرد الأمويون بالأندلس[4]، واستطاع الفاطميون[5] بعد ذلك وهم من يحمل المذهب الشيعي من القضاء على اغلب الكيانات السياسية في المغرب ليدخلوا بعد ذلك في صراع مرير مع أمويي الأندلس كان الدافع إليه مذهبي[6] بالأساس وقد اتخذوا من القيروان عاصمة لهم.

---

[1]– قامت دولة بني مدرار الصفرية في سجلماسة سنة 140 هـ على يد أبوا القاسم سمكو ابن واسول المكناسي وقد على مذهب الخوارج، وقد سقطت على يد ابي عبيد الله الشيعي سنة 297 هـ.

[2]– قامت دولة بني رستم الإباضية الخارجية على يد عبد الرحمن ابن رستم وكانت نهايتها على يد ابي عبيد الله الشيعي سنة 297 هـ.

[3]– قامت هذه الدولة سنة 172 هـ على يد ادريس ابن عبد الله وسقطت ايضا على يد الفاطميين سنة 297 هـ

4– قامت دولة بني امية في الأندلس على يد عبد الرحمن ابن معاوية المعروف بالداخل سنة 138 هـ وسقطت سنة 424 هـ.

5– قامت هذه الدولة على يد ابي عبيد الله الشيعي سنة 296 هـ تبنت المذهب الشيعي الإسماعيلي.

. ينظر: محمود إسماعيل عبد الرازق: "الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري"، دار الثقافة ط 2، 1985م.

[6]– يمكننا الجزم أن امويي الأندلس تبنوا المذهب المالكي خاصة في عهد هشام ابن عبد الرحمن لكننا لا نجد ما يشير إلى سعيهم لنشره بالمغرب.

مشكلة البحث:

يحاول البحث الإجابة عن السؤال الرئيس: كيف انتشر المذهب المالكي في منطقة الصحراء والسودان الغربي وكيف استمر بها؟

ويتفرع منه عدة تساؤلات فرعية وهي:

- ماهي الطرق التي انتشر بها الإسلام في المنطقة؟
- ماهو دور فقاء المالكية في نشر المذهب في شمال إفريقا؟
- كيف تمكن المرابطون من نشر المذهب المالكي في عموم المنطقة؟

منهج البحث:

المنهج المستخدم: المنهج الوصفي.

أسباب التمكين للمذهب المالكي:

كان العامل الحاسم في سيطرة المذهب السني هو رحيل الفاطميين إلى القاهرة والذي يرجعه البعض إلى خوفهم من تفاقم التيار الشعبي الذي يقوده الفقهاء المالكيون، بالإضافة إلى سياسة الفاطميين الساعية إلى السيطرة على المشرق، وقد ورث آل زيري الصنهاجيين السلطة الفاطمية بالمغرب واستمروا في التضييق على الفقهاء المالكيين ولم يكن أمام آل زيري من خيار سوى مناصرة الشيعة أولياء نعمتهم، إلا أن النشاط المكثف الذي قام به فقهاء المالكية من أمثال ابي بكر اللبار وابي محمد عبد الله البنان وغيرهم ادى إلي تبني المعز ابن باديس للمذهب المالكي وقطع الدعوة للفاطميين، ولقد مثل هذا الحدث بداية سيطرة المذهب المالكي وانتشاره في عامة المغرب.

ولقد مثلت القيروان قاعدة للمذهب المالكي واكتسبت شهرة في الغرب الإسلامي خلال القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي[1] بعد ما تعرض له فقهاء المالكية فيها من اضطهاد على يد الأغالبة وفقهائهم الأحناف[2] وعلى يد الفاطميين الشيعة.

[1]– أحمد الشكري: "الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي"، المجتمع الثقافي، أبو ظبي 1999م ص: 126.

2– لقد ظهرت في هذا العهد محنة خلق القرآن والتي وجدت صدى عند الأغالبة في المغرب، وقد جاراهم بعض الفقهاء الأحناف، ومن أشهر فقهاء المالكية الذين امتحنوا فيها الإمام سحنون بن سعيد المتوفى 240 هـ.

هذه الشهرة جعلت القيروان قبلة لطلبة العلم والفقهاء وكذلك العامة، ومن هنا نجد مبررا لتوقف يحي ابن إبراهيم بهذه المدينة ولقائه بأبي عمران الفاسي.

لقاء ابن ابراهيم وابي عمران:

قبل أن نلقي الضوء على هذا اللقاء الذي كان عبارة عن الانطلاقة الأولى للحركة المرابطية نلفت الانتباه إلى أن بعض الدارسين[1] يربطون بين المشروع المرابطي، وعملية المد السني التي بدأت في المشرق أي انهم يعتبرون الحركة المرابطية عملية تطويق غربية للمذهب الشيعي استكمالا للدور الذي قام به السلاجقة شرقا، وبالتالي فلا يستبعدون أن تكون رحلة لكدالي إلى الحج كانت سببا في لقائه ببعض الدعاة السنيين في مكة والمدينة خصوصا إذا علمنا أن موسم الحج كان فرصة للدعاة للاتصال بحجاج الأقطار الإسلامية لا بل يذهب أصحاب هذا الطرح[2] إلا أن هؤلاء الدعاة هم من بادر بالاتصال بالأمير الصنهاجي وهم من أحاله إلى قادة المالكية بالقيروان لقربهم من بلاده من جهة ودرايتهم بشؤون الغرب الإسلامي من جهة أخرى.

المهم أن شهرة القيروان كانت العامل الحاسم في مرور يحيى ابن إبراهيم بها والذي كان سببا في لقائه بفقيه المالكية ابو عمران الفاسي.

اغلب الدارسين يميلون إلى أن لقاء القيروان كان البداية النظرية لقيام الحركة المرابطية وأن ابو عمران كان حريصا على أن يقوم الصنهاجيون بدعوة دينية مبنية على المذهب المالكي من أجل تصفية الجيوب البدعية التي كان المغرب يعاني منها ولعل اهمها النحلة البرغواطية[3]، ولقد كان مرد هذا الطرح الرواية التي جاءت عند صاحب كتاب بيوتات فاس الكبرى[4] وأن أبا عمران ويحيى ابن إبراهيم تحدثا في وضع الغرب الإسلامي وخصوصا عما تشكله هذه النحلة من تهديد لجهود الفقهاء السنيين بالمغرب.

---

[1]– عبد الله العروي: "مجمل تاريخ المغرب"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط 2، 1992م ص: 112.

2– حماه الله ولد السالم: "تاريخ موريتانيا العناصر الإسلامية"، منشورات الزمن، العدد 9، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، 2007م ص: 43.

[3] . هي مذهب دولة قامت في منطقة تامسنا في المغرب الأقصى في بداية القرن الثاني للهجرة تزعمها صالح بن طريف الذي انسلخ من المذهب الصفري وانتحل مذهبا جديدا اتفق علماء الإسلام في تلك الفترة على انسلاخهم من الإسلام وقد ظلت دولتهم قائمة لفترة طويلة من الزمن دخلوا خلالها في حروب مع القوى السياسية التي ظهرت في المنطقة.

[4]– ابن الأحمر (إسماعيل): "بيوتات فاس الكبرى"، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص: 28.

دور المرابطين في نشر المذهب المالكي بالمنطقة:

قبل أن نتحدث عنما قام به المرابطون من أجل نشر المذهب المالكي في بلاد السودان لا بأس إذا تعرضنا لطبيعة الإسلام الصنهاجي على ضوء مقابلة ابي عمران ولكدالي.

ونرجح في هذا الصدد أن الإسلام الصنهاجي رغم سطحيته إلا انه كان إسلاما سنيا تميز عما يجاوره من الدوائر الدينية والمذهبية المنتشرة آنذاك حول الصحراء، ومن هنا لم ينسب الصنهاجيون إلى أي من تلك الفرق والمذاهب، ومهما تكن طبيعة إسلام الصنهاجيين فإن قيام الحركة المرابطية جعلهم يحملون لواء نشر المذهب المالكي في المغرب وبلاد السودان.

لقد وقف الدارسون كثيرا عند مقابلة أبي عمران الفاسي ليحيى ابن إبراهيم لكدالي فحاولوا أن يجعلوا من أسئلة القيرواني دلالة للبحث عن كيان سياسي يستطيع أن يقوم بنشر المذهب المالكي والتمكين له في الغرب الإسلامي، ولقد ركز هؤلاء على سؤال الفاسي للكدالي عما ينتحل قومه من المذاهب واعتبروه سؤال غير مجاني، فقد كان الفاسي يسعى من خلاله إلى معرفة طبيعة إسلام القوم وهل مازال هذا الإسلام لم يتأثر بالمذاهب البدعية التي تنتشر على حدود الصحراء وما أن تأكد من عدم وجود لهذه المذاهب لدى أمير صنهاجة حتى وصفه بأنه صحيح النية واليقين[1].

ويعتبر بعض الدارسين أن لقاء الرجلين والذي كان البادرة الأولى لقيام الدولة المرابطية لم يكن اعتباطيا كما أن الحوار الآنف قد يكون بدأ في مكان آخر غير القيروان، فلقد رأينا المكانة التي احتلتها إفريقية في نفوس الملثمين حيث كانت مدينة القيروان على صلات ثقافية وتجارية بصحراء الملثمين كما كان للحج مكانته أيضا لدى القوم لأن سلف ابن إبراهيم قام هو الآخر برحلة حج ربما يكون قد التقى فيها بالقابسي[2]، وبما انه ولى خلفه وصهره يحي ابن إبراهيم على قيادة الملثمين قبل وفاته في ساحة القتال رغم انه لا يمت بصلة إلى بيت الملك في الصحراء فهل يمكننا الافتراض أن

[1]– ابن أبي زرع الفاسي (علي ابن محمد): "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس"، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، ط 2، 1999م، ص: 155.

[2]– من كبار علماء المذهب المالكي في القيروان خلال النصف الثاني من القرن 4 هـ رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج سنة 352 هـ اشتهر بتضلعه وسعة معرفته في علوم الحديث والفقه والكلام وله مؤلفات عديدة انتهت اليه رئاسة المذهب المالكي في القيروان، توفي 403 هـ.

– ينظر: ابن فرحون: كتاب الديباج المهذب في معرفة اعيان علماء المذهب، تحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1996 ص: 200.

ابن تيفاوت أوصى ابن إبراهيم بالحج والاتصال بفقهاء المالكية في إفريقية والمشرق لاستكمال مشروع كان قد بدأ نقاشه مع القابسي وفقهاء المالكية هناك؟

إن أول عمل قام به ابن إبراهيم بعد توليته أمر الملثمين يوحي بأنه كان يسعى إلى تنفيذ وصية سلفه حيث قام مباشرة باستخلاف ابنه إبراهيم ابن يحي ورحل إلى المشرق حاجا في تاريخ اختلفت المصادر في تحديده.

لقد ذكر ابن عذاري[1] أن ابا عمران خرج لأداء فريضة الحج سنة 425 هـ وأنه توفي في القيروان سنة 430 هـ مما يسمح لنا بالاعتقاد بأن أبا عمران أمضى سنوات في الحجاز قبل عودته إلى القيروان وانه التقى أثناء إقامته في الحجاز وخلال موسم الحج بيحيي ابن ابراهيم لكدالي سنة 427هـ إذ من المفترض ان زعيم الملثمين التحق بالحجاج المغاربة الذين بلا شك كانوا تحت قيادة ابي عمران اثناء سير الركب من القيروان إلى المدينة فتم بينهما التعارف هناك لذلك رافقه في العودة ليجدا متسعا من الوقت لوضع خطتهما ولعرض المسألة على طلبة ابي عمران فكانت المقابلة الشهيرة.

ومهما تكن الصيغة التي تم بها اللقاء بين ابي عمران الفاسي ويحي ابن ابراهيم فإن الأول لعب دورا مهما في رسم الخطوط العريضة للمستقبل الثقافي والسياسي لصحراء الملثمين ومعظم أجزاء الغرب الإسلامي والسودان الغربي عن طريق اختياره للملثمين كأداة لتنفيذ مشروع إقامة الدولة السنية المالكية في المنطقة وتمهيدا لذلك كان لا بد لأبي عمران من أن يوفد مع زعيم الملثمين مرشدا قادرا على تنفيذ المهمة الموكلة إليه بدقة وربما يكون ذلك هو سبب عدم اختيار أبي عمران لأحد طلبته القيروانيين لمرافقة الزعيم الصنهاجي مفضلا أن يكلف من هو أقرب إلى ديار الملثمين من فقهاء المالكية فأرسل رسالة إلى تلميذه وجاج بن زلوي اللمطي.

كما أن إحالة الأمير إلى وجاج بن زلوي هي الأخرى تحمل أكثر من دلالة فرغم أن السبب الواضح لها هو أن رباط نفيس قريب من مضارب الملثمين وأن أبا عمران كان على معرفة بصاحب هذا الرباط لا بل وصفه بأنه تلميذه[2] إلا أننا وبالرجوع إلى شخصية وجاج نجده هو الآخر ممن حملوا لواء الدفاع عن المذهب المالكي، فقد تعلم من شيخه ابن تيسيت تقاليد المرابطة والجهاد والتي عمقتها لديه المعارف التي تلقاها عن شيخه الفاسي، مما جعل وجاج يؤسس رباطا سماه "دار المرابطين" ولم تقتصر وظيفة هذا الرباط على التعبئة للجهاد ضد أصحاب البدع بل ركز على بث العلم ونشر

[1]– ابن عذاري، "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1998م ج1، ص: 275.

[2]– البيان المغرب: مصدر سابق، نفس الصفحة.

الخير حرصا على تحصين العامة وطلبة العلم أمام نحل السوس ومذاهبه، كما ركز عميد دار المرابطين على تكوين طلبته على نظام خاص قوامه الاعتماد على شظف العيش والصرامة في السلوك والدقة في التعليم، وهو أسلوب مكن خريجي "دار المرابطين" من أمثال ابن ياسين من التعامل مع مجتمعات بدو الصحراء الذين يؤثر فيهم بالسلوك والعمل لا باللسان والجدل[1] ولعل اصدق دليل على ذلك هو ما قام به ابن ياسين فور وصوله إلى صحراء الملثمين.

كان اختيار ابن ياسين للمهمة التي انتدب لها وجاج تلامذته موفقا، فابن ياسين كان من الذين ينشدون توحيد الغرب الإسلامي خصوصا بعد رحلته إلى الأندلس التي دخلها في عهد ملوك الطوائف[2] وهي فترة تميزت بتفكك مسلمي الأندلس في وقت استأسد عليهم الإفرنج في بداية الهجمات التي عرفت بحروب الاسترداد، ناهيك انه أمضى سبع سنوات هناك كانت كافية ليلمس بدقة درجة ضعفهم وتخاذلهم أمام الأعداء ولا يستبعد ابن ياسين قد رابط لبعض الوقت في ثغور الأندلس إتباعا لسنن المرابطة ودفاعا عن دار الإسلام.

فنحن وبوصولنا لابن ياسين نجد أنفسنا أمام سلسلة من الفقهاء المالكيين فأبن ياسين تلميذ لوجاج والأخير ممن اخذوا عن ابي عمران وابو عمران رحل إلى الشرق وأخذ عن الباقلاني[3] فنحن إذا حسب العروي امام سلسلة من الفقهاء المهتمين بالدعوة للمذهب المالكي[4] والمعروفين بالاستماتة من اجل التمكين له.

وقبل ان نرصد تحركات ابن ياسين التي اسفرت عن قيام الحركة المرابطية التي ادى قيامها إلى سيطرة المذهب المالكي في الغرب الإسلامي والسودان الغربي، لا بأس إذا حاولنا أن نعطي مسوغات لتقبل الصنهاجيين للمذهب المالكي منذ ما قبل وصول ابن ياسين وبعده.

لقد مثلت طبيعة المذهب المالكي الأداة الفاعلة للتمكين له في الصحراء وبين القبائل الصنهاجية[5] لا وبل في المغرب كله وحتى في السودان الغربي فطبيعة المذهب المالكي من حيث جوهره قوامها الابتعاد عن أساليب أصحاب علم الكلام والمنطق أي عن الرأي ومن هنا نجد التقليد

---

[1]– حماه الله ولد السالم: مرجع سابق، ص: 47.

2– مجهول: "الحلل الموشية في الأخبار المراكشية"، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء 1979م ص: 20.

[3]– الإمام الحضرمي: الإشارة في تدبير الإمارة، تحقيق سامي النشار دار الثقافة، الطبعة الأولى، 1981م ، ص: 9.

[4]– العروي: مرجع سابق، ص: 112.

5– حماه الله ولد السالم: مرجع سابق، ص: 46.

المالكي القائم على كراهية ما ليس تحته عمل من قضايا ومسائل الأحكام بحيث أصبح المذهب المالكي "لا يقوم على الرأي والقياس بقدر ما يقوم على النص والنقل وعلى الأثر والرواية ولعل هذه الخصائص هي التي جعلت المذهب المالكي يمثل الوجه الآخر لعقيدة السلف التي على الأرجح العقيدة التي تقبلها أهل الصحراء لبساطتها ووضوحها، ولعل ذلك ما عناه ابن خلدون بقوله "....إن البداوة كانت غالبة على أهل المغرب والأندلس (ومن في حكمهم من أهل الصحراء) ولم يكونوا يعانون الحضارة التي هي لأهل العراق فكانوا لأهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة ولهذا لم يزل المذهب المالكي عندهم غضا ولم يأخذ تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب"[1]

إن هذه الخصوصية التي امتاز بها المذهب المالكي هي ما جعلته يتلاءم مع صنهاجة الصحراء لكونهم بدوا رحلا لا يستطيعون تقبل الأنساق الفكرية المعقدة فكانوا دائما يميلون إلى الأفكار التي تلائم حياتهم المتمثلة في زهد موغل في البساطة وورع صارم يتمثل في تشدد الأحكام وسد الذرائع إلى جانب قدرة مشهورة على التكيف مع الواقع.

هذه الخصائص جميعها سهلت عملية انتشار المذهب المالكي على يد ابن ياسين وطلبته المرابطين وما أن سيطروا على الصحراء حتى وجدوا أنفسهم أمام نداءين:

- نداء بضرورة توحيد الغرب الإسلامي لمنازلة المسيحيين في الأندلس والقضاء على النحل السائدة في المغرب وذلك ما يمثل صلب مشروع فقهاء المالكية المنظرين الأوائل للحركة المرابطية
- ونداء آخر لفتح الممالك السودانية وهو ما يساير هموم الملثمين الصحراويين لارتباطهم بالمجال السوداني والتحرشات التي كثيرا ما يتعرض لها هؤلاء من طرف ملك غانة[2].

ورغم أن النداء الأول كان أكثر إلحاحا إلا أن المرابطين سعوا إلى نشر الإسلام المالكي في السودان الغربي، ولعل ما يفسر ذلك أن الحملات المبكرة التي قام بها المرابطون في بلاد السودان لم تكن عملية فتح إسلامي لهذه المناطق . التي من المفترض أن الإسلام تغلغل فيها قبل قيام المرابطين . بقدر ما هي عملية "فتح سني" مالكي لمناطق السودان وخاصة إذا علمنا أن الإسلام أخذ

1– ابن خلدون: المقدمة، ضبط ومراجعة الأستاذين خليل شحاتة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت 2001 ص: 420.

2– عبد الودود ولد عبد الله: "دور الشناقطة في نشر الثقافة العربية الإسلامية بغرب إفريقيا حتى نهاية القرن 18 الميلادي"، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، نواكشوط، العدد الأول، 1996م، ص: 20.

طريقه في فترة ما قبل المرابطين على يد تجار ودعاة ينتسبون في أغلب الأحيان إلى مذاهب كالشيعة والخوارج مثلا.

كما قام الدعاة والمعلمون المرابطون بدور مكمل لعملية الفتح العسكري التي قامت بها جيوش المرابطين وذلك ما سبق وأن أشرنا إليه وكان لهم دور بالغ الأثر في انتشار الإسلام السني المالكي في المنطقة فقد كان لقاء السودانيين مع الإسلام بفضل أهل المغرب المالكيين فأحب أهل السودان الإسلام.

ومادام المذهب المالكي مذهب عملي يعتد بالواقع ويأخذ بأعراف الناس وعاداتهم ويتماشى مع طبيعة الفطرة في بساطتها ووضوحها دون تكلف أو تعقيد، فقد ساهم هذا العامل في ترسيخه في بلاد السودان وذلك ما نلمسه خاصة بعد أن صلب عود المذهب إبان حكم الإمبراطورية المالية[1] حيث كان مذهبا رسميا للدولة وظلوا يتعصبون له ومتمسكين به حتى بعد تعرفهم على المذاهب السنية الأخرى خلال رحلات الحج التي أداها ملوكهم، يقول ابن بطوطة[2] "... ومنها مواظبتهم على الصلوات والتزامهم لها في الجماعات وضربهم أولادهم عليها (...) وقد دخلت على القاضي يوم العيد وأولاده مقيدون فقلت له ألا تسرحهم؟ فقال لا افعل حتى يحفظوا القرآن، ومررت يوما بشاب وفي رجله قيد ثقيل فقلت(...) ما فعل هذا (...) قيل لي إنما قيد حتى يحفظ القرآن".

ويستدل البعض بهذه الإفادة حول مواظبة السودانيين على الصلاة وأداء الفرائض على تبنيهم للمذهب المالكي[3] لأنه يستشف من خلالها ما عرف لدى المالكية من تشدد في الدين وسد للذرائع خاصة إذا عدنا لتجربة ابن ياسين مع القبائل الصنهاجية أثناء تشكل الحركة.

كما يذهب البعض[4] إلى أن الشعوب السودانية التي أسلمت لم تعرف عنف الصراعات المذهبية التي عرفها الأندلس والمغرب لأن المذهب المالكي كان منذ عهد المرابطين هو المعتمد بكيفية تكاد تكون شمولية.

---

[1] . هي إحدى الامبراطوريات التي قامت في منطقة السودان الغربي وقد اعتنق ملوكها الأوائل الإسلام وكانت لها علاقات بمحيطها الإقليمي وشهدت رخاء اقتصاديا بفعل عائدات التجارة القوافلية ومن أهم مدنها مدينة جني ومدينة تنبكتو.

[2]– تحفة النظار: (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي): "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، الشركة العالمية للكتاب الطبعة الأولى، بيروت 1991م ص: 265.

[3]– نقولا زيادة: "إفريقيات – دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي"، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، الطبعة الأولى، 1991م ص: 315.

[4]– محمد زروق: دراسات في تاريخ المغرب، إفريقيا الشرق، ط 1، 1991م، ص: 111.

الخاتمة:

ومجمل القول فإن المذهب المالكي الذي يعتبر اليوم المذهب المعتمد في شبه المنطقة استطاع بفعل ظروف سياسية معينة من الانتشار واستمر بفعل طبيعة المذهب التي ساهمت في اعتناقه وتبنيه من طرف شعوب الصحراء والسودان الغربي.

إن منطقة شمال إفريقيا اليوم تتميز بالتناسق والانسجام المذهبي والذي كان نتاج عملية طويلة ومعقدة مكنت المذب المالكي من التفرد بالمنطقة رغم أن معظم المذاهب الإسلامية وجدت طريقها إلى المنطقة لكن تأثيرها ظل محدودا ولم تستطع الوقوف في وجه انتشار المذهب المالكي.

النتائج:

- أهمية الدور السياسي في انتشار المذهب المالكي
- الدور الذي لعبه فقاء المالكية في قيام الدولة المرابطية
- طبيعة المذهب المالكي وتقبل سكان المنطقة له
- الارتباط الوثيق بين منطقة الصحراء والسودان الغربي
- استمرار المذهب المالكي في المنطقة منذ انتشاره وحتى اليوم

التوصيات:

- ضرورة الاهتمام بالتاريخ الديني والمذهب للمنطقة
- تعميق البحث في تاريخ الدولة المرابطية
- تعميق البحث في المذهب المالكي في شمال إفريقيا والسودان الغربي
- غربلة المصادر والبحث عن كل جديد في الموضوع
- تعزيز العلاقات العلمية بين الباحثين المهتمين بتاريخ الذهنيات

قائمة المصادر والمراجع:

- **ابن أبي زرع الفاسي** (علي ابن محمد): "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس"، راجعه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، ط 2، 1999م.
- **ابن الأحمر** (إسماعيل): "بيوتات فاس الكبرى"، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.
- **ابن بطوطة** (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي): "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، الشركة العالمية، للكتاب ط 1، بيروت 1991م.
- **ابن خلدون**: المقدمة، ضبط ومراجعة الأستاذين خليل شحاتة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت 2001.
- **ابن عذاري المراكشي** (احمد ابن محمد): "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1998م.
- **ابن فرحون**: كتاب الديباج المهذب في معرفة اعيان علماء المذهب، تحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1996م.
- **أحمد الشكري**: "الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي"، المجتمع الثقافي، أبو ظبي 1999م.
- **الإمام الحضرمي**: الإشارة في تدبير الإمارة، تحقيق سامي النشار دار الثقافة، ط 1، 1981م.
- **حماه الله ولد السالم**: "تاريخ موريتانيا العناصر الإسلامية"، منشورات الزمن، العدد 9، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، 2007م.
- **عبد الله العروي**: "مجمل تاريخ المغرب"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1992م.
- **عبد الودود ولد عبد الله**: "دور الشناقطة في نشر الثقافة العربية الإسلامية بغرب إفريقيا حتى نهاية القرن 18 الميلادي"، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، نواكشوط، العدد الأول، 1996م.
- **مجهول**: "الحلل الموشية في الأخبار المراكشية"، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء 1979م.
- **محمد زروق**: دراسات في تاريخ المغرب، إفريقيا الشرق، ط 1، 1991م.

- **محمد فال ولد سيدي الغلاوي:** "دعوة المرابطين في صحراء شنقيط وحتى قيام دولتهم بالمغرب"، ط 1، 2001م.
- **محمود إسماعيل عبد الرازق:** "الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري"، دار الثقافة ط 2، 1985م.
- **نقولا زيادة:** "إفريقيات – دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي"، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ط 1، 1991م.